

الفصل: الرابع

وحدة: النظريات الاقتصادية

الأستاذ: حميد بنسي

المحاضرة رقم: 5

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2021-2020
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة: النظريات الاقتصادية
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: حميد بنسي
الفصل الرابع	المحاضرة رقم: 5

الأفكار الاقتصادية خلال مرحلة الرأسمالية التجارية

و ظهور الفكر الماركنتيلي

نشأ النظام الماركنتيلي من خلال إعادة ترتيب أوضاع الفئات الاجتماعية إبان انحلال الإطار الاقتصادي والتأسيسي الفيودالي (تقليص الحاجة إلى حماية التي كانت تمارسها مؤسسة الفروسية الإقطاعية بعد استتباب الأمن والنظام)، مما أدى إلى ازدهار ملحوظ للتجارة، حيث اتسعت دائرة التبادل والحاجة إلى التبادل، وأصبح النشاط التجاري يبحث عن مجال يتسع فيه يوماً بعد يوم. وتحقق ذلك بالفعل بعد اكتشاف "العالم الجديد" وطرق المواصلات البحرية الجديدة، وحصلت المدن على حريتها، وانتشر التعامل النقدي ولاسيما بعد الكشوفات الجغرافية، التي أتاحت للأوروبيين جلب المعادن النفيسة من العالم الجديد.

لقد أفرزت هذه الفترة من تاريخ التطور الأوربي فكراً مطابقاً لمتطلبات توسع التجارة واغتناء أصحابها، ويعرف هذا الفكر بمدرسة التجاريين، كان يطلق هذا الاسم على الذين ساهموا في وضع السياسة الاقتصادية التي سادت في عصر الرأسمالية التجارية في بلدان أوروبا الغربية بداية من القرن السادس عشر إلى غاية نهاية القرن الثامن عشر.

وكان لظهور الدولة القومية أثر واضح في ظهور وبلورة تيار الفكر التجاري. وكانت الإشكالية التي انطلق منها التجاريون في بلورة أفكارهم الاقتصادية تدور حول سؤال عريض: "كيف يمكن للدولة أن تصبح قوية اقتصادياً؟ وما السبيل لإثرائها؟ وما هي الثروة الحقيقية للدولة؟"

فلسفة المذهب التجاري

تمثلت فلسفة المذهب التجاري في ما يلي :

◀ الرغبة في زيادة ثروة الدولة من المعدن النفيس " الذهب والفضة »لذا كان على الدولة أن تدير علاقتها مع العالم الخارجي بهدف حيازة و جمع ومراكمة الثروة وبناء اقتصاديات قومية متينة. اعتبر رواد هذا التيار أن الثروة

تكمن فيما يتوفر عليه البلد معين من معادن نفيسة كالذهب والفضة، وأن التجارة هي مصدر اكتساب الثروة، وبالتالي تزايد أهمية التجارة.

◀ الاهتمام بالعلوم الطبيعية والإنسانية والبعد عن العلوم الدينية في تفسير الظواهر الاقتصادية، بصيغة أخرى، التحرر الفكري من هيمنة الكنيسة.

◀ تحطيم التقليد المبني على الإنتاج لغرض الاستهلاك المحلي، مقابل زيادة أهمية النقود و تكوين رؤوس الأموال التي أصبحت قوة لها أثرها في السياسة وفي النظام السياسي.

◀ تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية، مما أدى إلى زيادة حجم الدخل، سواء للدولة أو الفرد داخل الدولة، الشيء الذي يفضي إلى زيادة الطلب على السلع والخدمات. النتيجة هي الدفع في انخيار النظام الإقطاعي بمختلف أركانه، ومخلفاته.

بصيغة أخرى: تعرض فكر المدرسة التجارية إلى بعض الأسئلة التي كانت تشغل فكر المجتمع في تلك الفترة، نذكر من بينها:

↔ ما هي الثروة؟

الثروة عند التجاريين هي مقدار المعادن النفيسة الموجودة في البلد، و تعتبر المعادن عندهم مصدرا للثروة و مخزنا للقيمة.

↔ 2 كيف يمكن زيادة الثروة؟

يمكن زيادة الثروة بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر:

❖ الشكل المباشر : عن طريق الامتلاك أو توسيع بعض الممالك و خاصة في العالم الجديد أمريكا،

❖ الشكل غير المباشر: عن طريق التجارة الخارجية وتحقيق فائض في الميزان التجاري مع المتعامل معهم، وهذا لا يتم في نظرهم إلا بفرض حماية جمركية مبنية على :

◀ تشجيع الصادرات على الواردات المصنعة.

◀ بناء شركات عملاقة و امتلاك أسطول بحري.

◀ توفير مواد أولية بأثمان منافسة عن طريق إقامة مستعمرات.

◀ كيف يمكن توزيع هذه الثروة بين البلدان؟

نظر التجاريون إلى إجمال الثروة على أنها ثابتة الحجم، و أن ما تكتسبه دولة من الدول يكون على حساب ما تفقده الدول الأخرى، و من هنا كانت نظرتهم ذات طابع وطني خالص، كما أن البعض يقول: أن هذا الطابع عدواني. وبالتالي، يجب على الدولة التدخل في النشاط التجاري لتنظيمه.

◀ ما هو سبب ارتفاع الأسعار؟

يرجع بعض المفكرين الاقتصاديين ارتفاع الأسعار إلى زيادة كميات النقود أي عرض النقود.

نماذج من الماركنتيلية في دول أوروبا الغربية:

اختلفت أساليب تطبيق السياسة الماركنتيلية من بلد إلى آخر، و ذلك حسب ظروف و المعطيات التاريخية لكل بلد. و يمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من السياسات الماركنتيلية، وهي:

* الماركنتيلية الإسبانية (السياسة المعدنية)

سميت هذه السياسة بالمركنتيلية المعدنية لكونها سعت إلى جلب أكبر كمية ممكنة من المعادن النفيسة من المستعمرات، و عملت على منع تسربها خارج المجال الوطني عن طريق سن مجموعة من القوانين والإجراءات هي أن: "إسبانيا كانت تجبر التجار الإسبان على استعادة أثمان بضائعهم نقدا و بالخصوص ذهباً للحفاظ على هذا المعدن النفيس داخل حدودها".

و قد أظهر التاريخ الاقتصادي أن السياسة المعدنية، التي طبقت أساساً في إسبانيا انتهت بنتائج هزيلة على مستوى التنمية الاقتصادية، تمثلت أساساً في عدم تمكنها من بناء جهاز و طني إنتاجي، و في تفشي الفقر الناتج عن ارتفاع الأسعار المتولد عن التوافد الهائل للذهب و الفضة من العالم الجديد.

* الماركنتيلية الإنجليزية (السياسة التجارية):

من رواد هذه السياسة نجد **توماس مون** **Thomas mun**.

كانت السياسة الماركنتيلية الإنجليزية تهدف إلى تنمية مخزون إنجلترا من المعادن النفيسة عن طريق تنمية التجارة الخارجية، و من بين الوسائل التي تم اعتمادها لبلوغ هذا الهدف، نذكر؛ تنمية الأسطول البحري، و تأسيس الشركات الخاصة وإصدار تشريعات لحماية التجارة الإنجليزية (قانون الملاحة الصادر سنة 1651م). كان

هدفهم الأول، هو الزيادة في تصنيع البلاد و تقوية النسيج الاقتصادي مع الزيادة في الصادرات لجلب المواد النفيسة، و استعمالها في شراء المواد الأولية الضرورية للصناعة، و كان حزمهم على مسألة أساسية، و هي تحقيق الربح (الكسب) من خلال التجارة الخارجية أو الفائض في الميزان التجاري.

المركنتيلية الفرنسية (السياسة الصناعية) :

من رواد الفكر التجاري الفرنسي نذكر؛ جون بودان 1530-1596م /وجون كولبير 1619-1683م Jean-Baptiste Colbert

يرجع الفضل في تصميم و تنفيذ هذه السياسة إلى الوزير الفرنسي **جون كولبير** الذي عمل على إقامة جهاز إنتاجي صناعي و دعمه من خلال تدابير متعددة، نذكر منها :

- ◀ إمداد الصناعة بالمعونة المالية.
- ◀ تطوير جودة المنتوجات و تشجيع تصديرها.
- ◀ سن سياسة حمائية جمركية " فرض رسوم جمركية على السلع المستوردة المنافسة للإنتاج الوطني "
- ◀ خفض تكاليف الإنتاج، من خلال تخفيض ثمن المواد الخام و أجور العمال، لكي تجعل هذه المدخلات الخاصة بالصناعة الفرنسية ذات قدرة تنافسية مع منتجات الدول الأخرى.
- ◀ وقد كان الهدف من تطور الصناعة الفرنسية هو رفع من فائض الميزان التجاري عن طريق ترجيح كافة الصادرات من المنتجات الصناعية على الواردات.

◀ خلاصة :

رغم اختلاف السياسات المركنتيلية يبقى القاسم المشترك بين مختلف الدول هو البحث عن زيادة ثرائها عن طريق جلب المعادن النفيسة بغية تحقيق قوتها.

كما يلاحظ كذلك أنه من الرغم من التباين بين مكونات الفكر المركنتيلي فإن هذه المكونات اتسمت بقواسم مشتركة نذكر منها :

- ◀ الطابع الماكرو اقتصادي لهذا الفكر؛
- ◀ المطالبة بتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي؛
- ◀ إصدار توصيات عملية إجبارية؛
- ◀ فصل النشاط الاقتصادي عن أي اعتبار روحي أو أخلاقي و جعل البحث عن الثورة هو الهدف الإنساني الأسمى.

بإسهاماته هاته، يكون التيار التجاري قد جسّد المرحلة الجنينية لعلم الاقتصاد، أي المرحلة التي سوف تمهد لاستقلال هذا العلم عن باقي الأشكال الأخرى من المعارف .

حظ موفق للجميع